

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ
 آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ
 هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا

وَبُكْيًا ﴿٥٨﴾ [مريم: 58]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ أَعْيَانَ الْأَنْبِيَاءِ وَمُنَاقِبَهُمْ فِي الْأَعْمَالِ
 وَالْأَحْوَالِ، أَعْقَبَ ذَلِكَ بِتَفْصِيلِ أَنْسَابِهِمْ وَتَعْيِينَ أَصُولِهِمْ، لِيَمْدَحَهُمْ
 فِي أَنْسَابِهِمْ كَمَا مَدَحَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ⁽¹⁾، وَهَذِهِ الْآيَةُ صُدِّرَتْ بِالْإِنْعَامِ
 عَلَيْهِمْ، وَهُوَ مُحَضُّ تَوْفِيقٍ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ تَوْفِيقِهِ أَنْ هَيَّا لَهُمْ أَسْبَابَ
 التَّعَرُّضِ لَهُ؛ فَلَا حَظَّ الْقُرْآنُ قَوْمَ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكُلُّ مُنْكَرٍ
 لِنُبُوءَتِهِ وَرِسَالَتِهِ؛ فَذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَمْتَنَ سَبَبِهِمْ؛ هَذَا لَمَنْ وَافَقَهُمْ
 فِي النَّسَبِ إِلَى الْمَوَافَقَةِ فِي السَّبَبِ⁽²⁾.

شَرِيفُ النَّسَبِ
 أَوْلَىٰ بِشَرْفِ
 الْعَمَلِ

✽ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَنْعَمَ﴾: (نعم) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَرْفُّهِ وَطَيْبِ عَيْشٍ وَصَلَاحٍ،
 وَمِنْهُ النَّعْمَةُ: مَا يُنْعَمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى عَبْدِهِ مِنْ مَالٍ وَعَيْشٍ،
 يُقَالُ: لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ نِعْمَةٌ، وَالنَّعْمَةُ: التَّنْعِيمُ وَطَيْبُ الْعَيْشِ⁽³⁾،
 وَالْإِنْعَامُ: إِصْطَالُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْغَيْرِ، وَلَا يُقَالُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَوْصَلُ
 إِلَيْهِ مِنْ جِنْسِ النَّاطِقِينَ، فَإِنَّهُ لَا يُقَالُ: أَنْعَمَ فَلَانٌ عَلَى فَرَسِهِ،
 وَالنَّعْمَاءُ بِإِزَاءِ الصَّرَاءِ، وَالنَّعْمَى: نَقِضُ الْبُؤْسَى، وَالنَّعِيمُ: النَّعْمَةُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 4/ 543.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 4/ 543.

(3) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (نعم).

الكثيرة⁽¹⁾، فالمقصود بـ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أنه أحسن إليهم، وتفضل عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية⁽²⁾.

(2) ﴿ذُرِّيَّةٌ﴾: (ذَرَّ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى لَطَافَةٍ وَانْتِشَارٍ⁽³⁾، وَمَصْدَرُهُ: ذَرَرْتُ، وَهُوَ أَخَذُكَ الشَّيْءَ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِكَ تَذَرُهُ ذَرًّا الْمِلْحَ الْمَسْحُوقَ عَلَى الطَّعَامِ⁽⁴⁾، وَالذُّرِّيَّةُ: الْخَلْقُ وَالنَّسْلُ، مَأْخُذَةٌ مِنَ الذَّرِّ، فَتَقُولُ: ذَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ، أَيَّ خَلَقَهُمْ، وَذُرِّيَّةُ الرَّجُلِ: وَلَدُهُ⁽⁵⁾، وَقِيلَ: هُوَ مَأْخُذٌ مِنَ الذَّرِّ، وَهُوَ: النَّشْرُ، فَيُقَالُ: ذَرَأَ الشَّيْءُ، يَذَرُهُ، أَيَّ نَشَرَهُ، أَوْ مِنْ صِغَارِ النَّمْلِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ الْخَلْقَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ كَالذَّرِّ⁽⁶⁾، وَالْجَمْعُ: الذَّرَارِيُّ وَالذُّرِّيَّاتُ، وَالْمَقْصُودُ بِالذُّرِّيَّةِ فِي الْآيَةِ: نَسْلُ الْإِنْسَانِ وَمَا تَوَالَدَ مِنْهُ وَمِنْ أَبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ.

(3) ﴿وَأَجْتَنَّبْنَا﴾: (جَبَى) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ الشَّيْءِ وَالتَّجْمُعِ، يُقَالُ: جَبَيْتُ الْمَالَ أَجْبِيهِ جَبَايَةً، وَجَبَيْتُ الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ⁽⁷⁾، وَالْاجْتِنَاءُ: الْجَمْعُ عَلَى طَرِيقِ الْإِصْطِفَاءِ، قَالَ ﷺ: ﴿فَأَجْتَبَنِي رَبُّهُ﴾ [القلم: 50]⁽⁸⁾، وَاجْتَبَى الشَّيْءَ اخْتَارَهُ⁽⁹⁾، وَاجْتَبَأَ اللَّهُ الْعَبْدَ: تَخَصَّصَهُ إِلَيْهِ بِفَيْضِ الْهِبَةِ يَتَحَصَّلُ لَهُ مِنْهُ أَنْوَاعٌ مِنَ النُّعْمِ بِلَا سَعْيٍ مِنَ الْعَبْدِ، وَذَلِكَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَبَعْضِ مَنْ يَقَارِبُهُمْ مِنَ الصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ [يوسف: 6]، ﴿فَأَجْتَبَنِي رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم: 50]⁽¹⁰⁾، وَالْمُرَادُ بِالْاجْتِنَاءِ فِي الْآيَةِ: الْإِصْطِفَاءُ وَالْإِخْتِيَارُ، وَكَأَنَّ هَذَا الْاجْتِنَاءَ لَهُمْ إِصْطِفَاءً⁽¹¹⁾.

(4) ﴿خَرَوُا﴾: (خَرَّ) أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ اضْطِرَابٌ وَسُقُوطٌ مَعَ صَوْتِ⁽¹²⁾، فَالْخَرِيرُ: صَوْتُ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 567/4.

(2) الرَّاغِب، المفردات، والسَّمِين، عمدة الحَفَاط: (نعم).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذَرَّ).

(4) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (ذَرَّ).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ذَرَّ).

(6) الخليل، العين، والجوهري، الصَّحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ذَرَّ، ذَرَر).

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جَبَى).

(8) الرَّاغِب، المفردات، والسَّمِين، عمدة الحَفَاط: (جَبَى).

(9) ابن منظور، لسان العرب: (جَبَى).

(10) الرَّاغِب، المفردات، والسَّمِين، عمدة الحَفَاط: (جَبَى).

(11) ابن عطية، للحرر الوجيز: 22/4.

(12) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خَرَّ).

الماء والريّح والعقاب، وغير ذلك ممّا يسقط من علوّ⁽¹⁾، وخرّ لله ساجداً يخرّ خروراً، أي: سقط سقوطاً يسمع منه خريز⁽²⁾، والمراد بالخُرور في الآية: الهوي من علوّ إلى سفّل.

(5) ﴿وَبُكِّيَا﴾: أصل البكاء: خروج السائل من الجوف قليلاً قليلاً، يُقال: بكت عينه تبكي بكاءً، أي: خرج دمعها، وبكت السماء أي: أمطرت⁽³⁾، والتباكي: تكلف البكاء⁽⁴⁾، والإبكاء: فعل ما يبكي الغير⁽⁵⁾، وجمع الباكي: باكون وبكّي، وأصل بكّي فعل، كقولهم: ساجد وسجود، وراكع وركوع، لكن قلب الواو ياءً فأدغم، نحو: جاث وجثي⁽⁶⁾، والمقصود بالبكاء في الآية: كَيْفِيَّة في الوجه والعَيْنَيْنِ تَنْقِصُ بِهَا الْوَجْنَتَانِ وَالْأَسَارِيرُ وَالْأَنْفُ، وَيَسِيلُ الدَّمْعُ مِنَ الْعَيْنَيْنِ، والمراد به: البكاء الناشئ عن انفعال النفس انفعلاً مختلطاً من التعظيم والخوف⁽⁷⁾.

❁ المعنى الإجمالي:

أولئك الأنبياء المذكورون في هذه السورة هم الذين أنعم الله عليهم بالهداية والنبوة، والعلم النافع، والعمل الصالح؛ من النبيين من ذرية آدم، وهو إدريس عليه السلام، من ذرية من حملنا مع نوح في السفينة، وهو إبراهيم عليه السلام، ومن ذرية إبراهيم، وهم: إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب عليه السلام، ومن ذرية إسرائيل - أي: يعقوب عليه السلام -، وهم موسى، وهارون، وزكريّا، ويحيى، وعيسى ابن مريم عليه السلام، ومن هدينا للإيمان، والعمل الصالح، ومن اخترناهم للنبوة، إذا تلى على

الْمَذْكُورُونَ فِي
السُّورَةِ هُمْ
أَعْيَانُ الْأَنْبِيَاءِ
وَوَجْهَاتُهُمْ

(1) ابن سيده، المحكم، والرّاعب، للفردات: (خز).

(2) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (خز).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بكي).

(4) الجوهري، الصحاح، والزبيدي، تاج العروس: (بكي).

(5) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (بكي).

(6) الرّاعب، للفردات: (بكي).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 133 / 16.

أولئك القوم - الَّذِينَ هَدَيْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ - آيَاتُ الرَّحْمَنِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِمْ فِي كُتُبِهِ؛ بَادِرُوا إِلَى السُّجُودِ لِلَّهِ، بَاكِينَ مِنْ خَشْيَتِهِ تَعَالَى⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلغة فصل الآية عن سابقتها:

الإنعام أساس التوفيق

جملة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ استئناف ابتدائي⁽²⁾، بعد تمام التفصيل في أحوال المذكورين السابقين مِنَ الأنبياء عليهم الصَّلَاة والسلام؛ لتقرير اندراجهم جميعاً تحت وصف عام تام، وهو سِرٌّ مَزِيَّتُهُمْ وأساسُ فضيلتهم، وهو أَنَّهم مِنَ الْمُنْعَمِ عليهم؛ إشارة إلى أَنَّ ما هم فيه مِنْ عُلُوِّ المكانة ورفيع المنزلة واستئْهال الإمامة والقدوة هو بسبب نعمة الله، ولولا الإنعام ما وُفِّقُوا ولا عُرِفُوا، ولَمَّا كَانَ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ ومجموع آياتِ الْقَصَصِ قَبْلَهَا كَمَالُ اتِّصَالٍ، لَزِمَ غِيَابُ الْعَاطِفِ؛ لما بينهما مِنَ التَّوَكُّيدِ المعنوي الخفي، وقد مهَّد الطريقَ لِمَجِيءِ هَذِهِ الْآيَةِ التَّصْرِيحُ بِالرَّفْعَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾؛ فهو يستدعي في الذهن بقوة معنى الإنعام، وأنه كائن مِنْ اللَّهِ الْعَظِيمِ.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ:

أهل الله أولى بالإشارة وأحق بالمنزلة

التَّعْبِيرُ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ لِلْبَعِيدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ دون الضمير، فلم يقل: (هم الذين أنعم)؛ للتبنيه على أَنَّ الْمُشَارَ إِلَيْهِمْ جَدِيرُونَ بِمَا يُذَكَّرُ بَعْدَ اسْمِ الْإِشَارَةِ، لِأَجْلِ مَا ذُكِرَ مَعَ الْمُشَارِ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَوْصَافِ، أَي: كَانُوا أَحْرِيَاءَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، بِانْتِظَامِهِمْ فِي عِدَادِ الْمَهْدِيِّينَ الْمُجْتَبَيْنَ الْخَلِيقِينَ بِمَحَبَّتِهِمْ لِلَّهِ تَعَالَى وَتَعْظِيمِهِمْ إِيَّاهُ⁽³⁾، وَفِي التَّعْبِيرِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ رَمْزٌ لَطِيفٌ إِلَى

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/ 565، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 21، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 120، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 14.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 132.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 132.

عبوديتهم لله سبحانه؛ وإذا كان الإنعام رفعة عظيمة، وكانت آيته مسوقة مساق النتيجة لمسابقة جليلة؛ ففيها معاني الفوز والنصر والظفر بالجائزة، وكان اسم الإشارة يُحضِرهم في السياق أكثر من إحضارهم بالضمير، كان من البلاغة والتناسب التعبير به.

نُكْتَةُ مجيء المُسْنَدِ اسماً موصولاً:

لم يقل في السياق الكريم: (أولئك أنعم الله عليهم)، بل عبر بالموصول: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بتعريف المشار إليهم بالموصولية لتمييزهم أكمل تمييز؛ تنبيهاً على أنهم معلومون بذواتهم، مشتهرون بنعوتهم، لا يُرتاب في رتبته وشريف مقامهم، وفي تعريفهم بالموصول إلماح إلى أنهم بالمحل الظاهر الجلي في الاقتداء والاهتداء، فالأقتداء بهم سهل يسير لظهور حالهم ووضوح منهجهم.

إثارة لفظ الإنعام، دون غيره:

التعبير بلفظ (الإنعام) في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ دون الإكرام وغيره؛ ليدل على أصل العطاء والامتنان، فإن الإنعام هو العطاء الجامع لكل ما يُرغَب ويُبتَغى، فيدخل فيه أصول النعم وزوائدها، ولذا أثر استعمال اللفظ الجامع، وأيضاً للدلالة على انتفاء ضده من البؤس، فأثبت لهم كل حال حسنة بالإنعام، ونفى عنهم كل حال بائسة تُخل بتمام النعمة⁽¹⁾.

دلالة التعبير بالماضي:

مجيء قوله: ﴿أَنْعَمَ﴾ بصيغة الماضي، للدلالة على تحقيق الإنعام، وعلى ما جرى به القلم في الأزل، فكون الأنبياء والمصطفين من أهل النعيم، هو قضاء قضاء الله أزلاً.

نُكْتَةُ الإسناد إلى الاسم الجليل دون ضمير العظمة:

مجيء الفاعل بالاسم الظاهر الجليل في قوله: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ﴾

في التعريف
بالصلة تعظيم
وتكريم

الإنعام ينفي
البؤس

تحقيق الإنعام،
وعلى ما جرى به
القلم في الأزل

(1) الرأغب، المفردات، وابن منظور، اللسان: (نعم).

وما بكم من
نعمة فمن الله

أعلى رتب
الإنعام الهداية
لاتتباع المهديين

جمع السالم في
الصفات قد يدل
على القلة

عَلَيْهِمْ دون الضمير، فلم يقل: (أنعمنّا)؛ استحضاراً لظهور المنعم حال شهود النعم، فإظهار اسم المنعم اقتضاه خصوص الإنعام؛ تنويهاً بأنه إنعام عظيم لا يُحدّثه إلا عظيم جامع لصفات الاقتدار والإبداع المطلق.

سِرُّ إيثار لفظ الجلالة «اللَّهُ»، دون (المنعم) أو (الرب):

أوثر التعبير بالاسم الجليل الجامع لصفات الكمال والألوهية في قوله: **«أَنْعَمَ اللَّهُ»** دون غيره من الأسماء؛ لأنه لما كان الإنعام المذكور أجمع الإنعام وأكملّه، عبّر بما يناسبه بأجمع الأسماء وأكملها، وفي التعبير به تنبيه لطيف على كمال الأوصاف التي أثبتتها لهم السورة في سياق السباق؛ فهم أكمل الخلق في معرفة جلال الله وجماله؛ ولذا كان إنعامه عليهم إدخالاً لهم في حضرات الجلال والجمال.

معنى (على) في قوله: «عَلَيْهِمْ»:

«عَلَيْهِمْ» في قوله: **«أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»** للاستعلاء المجازي، تصويراً لتمكّن الإنعام منهم تمكّن الغطاء ممّا تحته، فهم مغشّيون بهذا الإنعام، مستظلّون بظله.

دلالة (ال) والجمع في «الْنبِيِّنَ»:

إيثار صيغة جمع المذكر السالم: **«الْنبِيِّنَ»** دون جمع التّكسير: (الأنبياء)؛ للدلالة على معنى الفعلية (الحدوث)، فإنّ جمع السالم يجري مجرى علامة الجمع من الفعل، فالنبّيون أشبه بقولك: (ينبؤون)، ولذا فسّر البقاعي هذا الجمع بالفعلية فقال: "أنبأهم الله بدقائق الحكم، وأنبؤوا النَّاسَ بجلال الكَلَم" (1)، والدلالة على القلة، فإنّ الأنبياء المذكورون معدودون محدودون، وجمع السالم من أوزان القلة عند بعض، وملحق بها عند بعض آخر، وهذا على

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 220.

الإطلاق، وليس مخصوصًا بالصِّفات أو بغيرها، فإذا كانت (أل) في: ﴿التَّيِّبِينَ﴾ للعهد الذَّكْرِيّ، وكان المراد تخصيصهم بالذكر في سياق إثبات إنعام الله عليهم، كان الجمع مطابقًا لما ذُكر قبلُ مِنَ النَّبِيِّينَ، وهم: زكريا، ويحيى، وعيسى ابن مريم، وإبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وموسى، وهارون، وإسماعيل، وإدريس، وهؤلاء عشرة، وجمعُ القِلَّةِ يطابقه؛ لأنَّ جمع الكثرة يُطلق على ما هو فوق ذلك، وإذا كانت (أل) في: ﴿التَّيِّبِينَ﴾ للعهد الذَّهْنِيّ أو للجنس، فكان أفرادها كلَّ نبيٍّ، فكان الظَّاهرُ والأصلُ التَّعبيرُ بجمع الكثرة: (الأنبياء)؛ وإنما وُضِعَ جمعُ القِلَّةِ موضِعَه؛ لأنَّ إنعام الله أوسعُ منهم، وهم أضيّقُ منه، فهو محيطٌ بهم، مُسْتَعْلٍ، وهم مظلوفون فيه، وهو ظرفٌ لهم؛ فجمع القِلَّةِ تمكينٌ لقوله تعالى: ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لفظًا ومعنىً ونظمًا، ثمَّ إِنَّ المنعمَ عليهم مُمَيِّزُونَ، فُعِبِّرَ بجمع القِلَّةِ لتصوير ذلك؛ فهم مُمَيِّزُونَ كما يُمَيِّزُ الشَّيْءُ القليلُ.

معنى حرف الجرّ ﴿من﴾:

﴿من﴾ في قوله: ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ عَادَمَ﴾ للتَّبَعِيضِ؛ لأنَّ المنعمَ عليهم أعمُّ مِنَ الأنبياء وأخصُّ مِنَ الذَّرِّيَّةِ⁽¹⁾، فليس الأنبياء وحدهم مخصوصين بالإنعام، وليس الإنعامُ حاصلًا في كلِّ الذَّرِّيَّةِ.

دلالة الواو في قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾:

قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ معطوف على قوله: ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ عَادَمَ﴾؛ لتعدد ذراري الأنبياء، وأصول أنساب البشرية.

سرُّ تكرار (من) في قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾:

ظاهرٌ عطف: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ على ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ عَادَمَ﴾ عدمُ ذِكْرِ (من) في المعطوف، فيقال: (ومن حملنا مع نوح)، فتكون:

ليس الأنبياء
وحدّهم
مخصوصين
بالإنعام

عطاء الله
لعبده على قدر
وعاء قلبه

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4 / 14.

(مَنْ) معطوفة على: ﴿ذُرِّيَّةٌ﴾، مِنْ عطف الاسم على الاسم، ولكنَّ حرفَ المعنى: (مِنْ) كُرِّرَ على خلافِ الأصلِ والظاهرِ في سياقِ ومقامِ واحدٍ؛ لِيُبْرَزَ استقلاليَّةُ إنعامِ الله على المعطوف، واستقلاليَّةُ إنعامِهِ على المعطوف عليه تبعًا لذلك؛ وذلك هو الأبرُّ بسياقِ الامتنانِ بإنعامِ الله على جميعِ المذكورينَ.

سِرٌّ إِيثار (مَنْ) دون (الذين):

لا فرق بين الذكر
والأنثى في أصل
الإنعام

أُوثِرَتْ (مَنْ) في قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ ولم يقل: (وَمِنْ الذين)، فَعَبَّرَ بالموصولِ المُشْتَرَكِ دون الخاصِّ؛ لأنَّه أرادَ عمومَ الجنسينِ مِنَ الذَّكَورِ والإناثِ، فقد كانوا مع نوحٍ ﷺ في فُلْكَه، وأمَّا (الذين) فَلَجَمَ الذَّكَورَ فقط.

دلالة التعبير بالظرف ﴿مَعَ﴾:

الامتنان على
الذَّرِّيَّةِ بالنَّجاةِ
مع نوح ﷺ

عَبَّرَ بظرفِ المعيةِ في قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾؛ لإفادةِ المصاحبةِ، أي: (حملناهم بصحبةِ نوح ﷺ). وفيه الامتنان على الذَّرِّيَّةِ بالنَّجاةِ مع نوح ﷺ.

سِرٌّ عدم ذكر الذَّرِّيَّةِ مع نوح ﷺ:

الوضوح يستلزم
الإيجاز

لم يَذْكُرِ الذَّرِّيَّةَ مع نوح ﷺ؛ لإيقاع التَّركيبِ على طريقةِ حذفِ المضافِ إيجازًا، والتَّقدير: (ومن ذُرِّيَّةٍ مَنْ حملنا مع نوح).

نُكْتَةُ إِيثار أسماءِ أنبياءِ مخصوصين:

الاستطراد مِنْ
الأشخاصِ إلى
الجنسِ

نُكْتَةُ تَخْصِيصِ هَؤُلَاءِ بِالذَّكَرِ دونَ غيرهم في قوله: ﴿ذُرِّيَّةٌ﴾ **ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ**؛ لأنَّ هَؤُلَاءِ الأنبياءَ المذكورين ﷺ هم أصولُ أنسابِ سائرِ الأنبياءِ، بل سائرِ البشريَّةِ، فَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَشْخَاصَ الأنبياءِ في هذه السُّورَةِ مِنْ لَدُنْ زَكَرِيَّا إِلَى إِدْرِيسَ، رَدَّهْمَ جَمِيعًا - مَنْ ذُكِرَ فِي السُّورَةِ وَمَنْ لَمْ يُذَكَّرْ - إِلَى أَصُولِهِمْ وَجَنْسِهِمْ⁽¹⁾، فَجَمَعَهُمْ فِي كَوْنِهِمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ، ثُمَّ

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 241/5.

خَصَّ بَعْضَهُمْ بِأَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ مَنْ حَمَلَ مَعَ نُوحٍ فِي الْفُلْكِ، وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْرَائِيلَ (يَعْقُوبَ)، فَالَّذِي عَنَى بِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ: إِدْرِيسُ، وَالَّذِي عَنَى بِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ مَنْ ﴿حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: إِبْرَاهِيمُ، وَالَّذِي عَنَى بِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ: إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَإِسْمَاعِيلُ، وَالَّذِي عَنَى بِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْرَائِيلَ: مُوسَى وَهَارُونُ وَزَكَرِيَّا وَعِيسَى، وَلِذَلِكَ فَضَّلَ أَنْسَابَهُمْ، وَإِنْ كَانَ يَجْمَعُ جَمِيعَهُمْ آدَمُ؛ لِأَنَّ فِيهِمْ مَنْ لَيْسَ مِنْ وَلَدِ مَنْ كَانَ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ، وَهُوَ إِدْرِيسُ، فَإِنَّهُ جَدُّ نُوحٍ⁽¹⁾، فَرتَّبَ اللَّهُ أَحْوَالَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ عَلَى الْأَنْسَابِ بَعْدَ الْأَعْمَالِ؛ تَنْبِيْهُاً عَلَى أَنَّهُمْ كَمَا فَضَّلُوا بِأَعْمَالِهِمْ، فَلَهُمْ مَزِيدٌ فِي الْفَضْلِ بِوِلَادَتِهِمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ⁽²⁾؛ تَنْبِيْهُاً أَنَّ النَّسَبَ الشَّرِيفَ مِنْ كَمَالِ مَنَاقِبِ الْمُؤْمِنِ.

معنى (من)، وسرّ تكرارها على خلاف الظاهر:

في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يحتمل أن يكون عطفاً على ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾، فتكون (من) للبيان كما في المعطوف عليه، وأن يكون عطفاً على ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾، فتكون (من) للتبعية⁽³⁾.

الأنبياء ورتبوا
الهدى والحكمة

والمعنى على الأول: بيان أن النبيين المنعم عليهم مهديون كذلك. والمعنى على الثاني: ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ من البعض المهدى منهم. وتكرار: (من) على خلاف الظاهر؛ للتنبية على عظيم أهمية الاهتداء والاجتباء؛ إبرازاً لعظيم الامتنان بهما؛ لما في التكرار من إشعار بالاستقلالية.

بلادة تقديم جملة ﴿هَدَيْنَا﴾ على ﴿وَأَجَبَيْنَا﴾:

قَدَّمَ ﴿هَدَيْنَا﴾ على ﴿وَأَجَبَيْنَا﴾؛ إشارة إلى أن اصطفاؤهم

الاهتداء بريد
الاجتباء

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15 / 565.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21 / 550.

(3) السمين، الدرر للصون: 7 / 608.

كان على أساس الهداية للحقّ، فالاجتباء مُنطَلَقُه الهداية، وهو مقصودها، وجمع بينهما تنبيهاً على تلازم الوصفين، فمن اهتدى استأهل أن يلتحق بصفوف الصّفة المختارة؛ وهذا كتسليط الرّحمة على العبوديّة في قوله تعالى في مطلع السّورة: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرًا ۝٢﴾ [مريم: 2]؛ كأنّ العبوديّة سبب في الرّحمة؛ فمن كان عبداً حقاً رُحِمَ حقاً.

سِرُّ التعبير بفعل الاجتباء:

الاجتباء جمع
بقصد الانتخاب

عُبر بالاجتباء في قوله: ﴿وَأَجْتَبَيْنَا﴾؛ لأنّ الله جَمَعَ هؤلاء المذكورين وانتخبهم من خلقه، ثمّ جَمَعَ لهم صَفِيّ النّعم بما لم يُخصّص به أحداً سواهم من البشّر، فتناسب ذلك استعمال لفظ الاجتباء لتأكيد فرادتهم في جَمْعِهِم للنّعم وجمع النّعم لهم؛ لأنّ لفظ الاجتباء يدلّ على الجمع على طريق الانتخاب والاصطفاء، ويكون بتخصيص هذه النّخبه بفيض إلهي يتحصّل لهم منه أنواع من النّعم بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء وبعض من يُقاربهم من الصّديقين والشّهداء وأتباعهم بإحسان⁽¹⁾.

سِرُّ التّنوُّع في إسناد الأفعال بين لفظ الجلالة ونون العظمة:

اسمُ الألوهيّة
الأعظم مَجْمَع
إمداداتِ الله

أسند إلى الاسم الجليل أولاً في قوله: ﴿أَنعَمَ اللَّهُ﴾؛ ليدلّ على أنّه إنعام تامّ، بقوة كمال الاسم الجليل ومعناه الجامع، ولأنّ الإظهار يُناسب مبدأ الكلام وأوّل الذّكر، ثمّ أسند إلى ضمير العظمة الجمعيّ في قوله: ﴿حَمَلْنَا﴾ ﴿هَدَيْنَا﴾ ﴿وَأَجْتَبَيْنَا﴾؛ فإنّ ﴿أَنعَمَ اللَّهُ﴾ أفاد الكمال وتربية المهابة وشهود الذات الجليّة، و﴿هَدَيْنَا﴾ و﴿وَأَجْتَبَيْنَا﴾ أفاد تعظيم الإله القدير بما له من العظمة في الذات والفعل.

نكتة فصل قوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾:

جملة ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ﴾ مستأنفة دالّة على شكرهم

(1) الرّأغب، المفردات: (جبي)، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (جبي).

كمال خضوع
الأنبياء لله
تعالى

نِعَمَ اللَّهُ عليهم، وتقريبه إياهم بالخضوع له بالسجود عند تلاوة آياته، وبالبكاء من خشيته تعظيمًا له وخوفًا منه⁽¹⁾، وفُصِلَتْ للشروع في معنى جديد في مناقبهم ومناقب كل من تبعهم بإحسان، أو لكون الجملة الشرطية خبرًا لاسم الإشارة «أُولَئِكَ الَّذِينَ»، على اعتبار أن الموصول صفة للإشارة⁽²⁾، وعلى هذا فهذه الجملة استئناف ابتدائي.

معنى الشرط «إِذَا» ودلالته:

«إِذَا» ظرف لما يستقبل من الزمان، مُتَضَمِّن معنى الشرط، وتصدير الكلام به فيه تحقيق لمضمون الشرط وجوابه، وتبَيُّت لكثرة وقوعه، فكثيرًا ما تتلى الآيات، وكثيرًا ما يَخْرُونَ سَجْدًا، فهي الأَلصَقُ بحال هؤلاء النعم عليهم، وهي تعني: أنهم كثيرو النعْزِضِ لآيات الرحمن.

دوام انفعال
الصالحين لكلام
الله بالخشية

نكتة بناء الفعل «تَتْلَى» لما لم يُسمَّ فاعله:

مجىء الفعل «تَتْلَى» على بناء ما لم يُسمَّ فاعله؛ لإبهام الفاعل، ولعدم تعلق الغرض بتعيينه، وللإشارة إلى أنهم كانوا يُحِبُّون سماع الآيات والقرآن من غيرهم، كما كان ذلك أيضًا شأن نبينا ﷺ، وسماع القرآن بالنسبة لمن يدخل من أمته في قوله تعالى: «وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا»، وفي صيغة هذا البناء تنبيه لطيف على إقبالهم بكلياتهم على ما يُتلى عليهم، فلا يكون منهم أدنى انشغال البتة بالتالي، وهذا من منهج كبار المهتدين من أهل مقام الإحسان.

من أمارات
الصالح خُب
سماع القرآن

معنى «عَلَيْهِمْ» في الآية:

«عَلَيْهِمْ» في قوله: «إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ» للاستعلاء المجازي، حيث جعل آيات القرآن وهي تُتلى على الأسماع بمنزلة السُّرَّة التي تعلق على الشيء فتصونه وتحفظه، وهكذا القرآن حين يُتلى

لو طهرت الأذان
ما مالت من
سماع القرآن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 133 / 16.

(2) أبو حيان، البحر المحیط: 277 / 7.

فإنَّه يُزَكِّي الْأَذَانَ وَيَصُونَ الْأَسْمَاعَ، فَصَارَ بِحَيْثُ كَأَنَّهُ تَمَلَّكَهَا
وَاسْتَحُوذَ عَلَيْهَا.

فائدة تقديم شبه الجملة على نائب الفاعل:

المقصود في
الكلام أولى
بالتقديم

قُدِّمَ الجَارُّ والمَجْرُورُ على نائب الفاعل (المفعول) في قوله:
﴿تَتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ﴾؛ لاشتماله على ضمير ذواتهم،
فإنَّهم المقصودون بالتلاوة، فقدِّمَ ما حصل الفعل لأجله، وفي
هذا التقديم: إشارة إلى أنَّهم أبصروا ما أُريد منهم فيها، فأقبلوا
عليها بكليَّاتهم مِن قَبْلِ أَنْ تُتْلَى عليهم، وبعدَ أَنْ تُلَيَّتْ عليهم؛ ولهذا
خَرُّوا سَجْدًا وَبُكْيًا.

سِرَّ التعبير بجمع القلة:

إنَّ في ذلك لعبرة
لِمَن يَخْشَى

إِنَّ آيَاتِ اللَّهِ - سواءَ كانت قرآنًا أو غيرَ قرآن - لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى؛
فكان الظَّاهِرُ التَّعْبِيرُ بجمع الكثرة: (آي)، لَكِنَّ الْقُرْآنَ عَبْرٌ بجمع
القِلَّةِ: ﴿ءَايَاتُ﴾؛ رمزًا إلى أَنَّ القليلَ مِن هداياتِ الرَّحْمَنِ سبحانه
مِن شأنه أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِمْ تَأْثِيرًا بَالِغًا، حَتَّى يَخْرُوا سَجْدًا وَبُكْيًا، فهم
قوم رقيقة قلوبُهم، والآياتُ فيها ما يجعلهم كذلك، فَجَمَعَ الْقِلَّةُ
يُصَوِّرُ شَيْئًا فِي الْمَتَلَوِّ وَالْمَتَلَوِّ عَلَيْهِم.

بلاغة الإضافة في قوله: ﴿ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ﴾:

تلاوة الآيات
مِن أَكْدِ أَسْبَابِ
الرَّحْمَةِ

أُضِيفَتِ الْآيَاتُ لاسم الرَّحْمَنِ الجليل في قوله: ﴿ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ﴾
لتعريف الآيات، فالإضافة للبيان، ولم تضاف الآيات للرَّحْمَنِ إِلَّا في
هذا الموضع في القرآن، وفي الإضافة إشعارٌ بِأَنَّ مَحَلَّ نَظَرِهِمْ في
الآيَاتِ - يستوي في هذا آياتُ التَّرْغِيبِ وآياتُ التَّهْذِيبِ - هُوَ رَحْمَةُ
الرَّحْمَنِ ﷻ، فهم يبصرون في مِثْلِ آيَاتِ الْعَذَابِ رَحْمَةَ الرَّحْمَنِ،
كما يبصرونها في آيَاتِ الثَّوَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّعِيمِ، وما جرى في هذا
الطَّرِيقِ مِنَ الْمَعْنَى.

سِرُّ إِيثارِ اسمِ الله ﴿الرَّحْمَنُ﴾ دُونَ غَيْرِهِ:

إِيثارُ لفظِ ﴿الرَّحْمَنُ﴾ في قوله: ﴿ءَايَةُ الرَّحْمَنِ﴾ اطرادًا مع تكرار هذا الاسم الجليل في تلك السّورة، فقد ورد ستّ عشرة مرّةً، وفي هذا السّياق أُضيفت الآياتُ إليه خاصّةً، إشارةً إلى أنّ الإنعام المذكور في ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ على هؤلاء المهديّين المُجتَبَيْن هو من آثار الرّحمة العامّة التي دلّ عليها اسم الله: ﴿الرَّحْمَنُ﴾، لأنّ الإنعام والاهتداء والاجتباء لهؤلاء ليس خاصًّا بهم فقط، بل يتعدّى نفعه وخيره لعموم النّاس، ولذا اصطفى اسم الرّحمة العامّة، وإيذانًا بأنّ الآيات نازلةٌ بالرّحمة وللرّحمة، ولذا اقتضتْ أنْ يخرّوا منها ساجدين باكين.

الوحي لم ينزل
إِلَّا لرحمة الخلق

نُكْتَةُ مجيءِ جوابِ الشّرطِ ماضِيًا:

مجيءُ جوابِ الشّرطِ ماضِيًا في قوله تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ تصويرٌ لسّعة انفعالهم بعد سماع الآيات، ويكأنّ هذا الانفعال صار مُحَقَّقًا منهم، مفروغًا من وقوعه، فَحُكِيَ عنهم بصيغة الماضي، وفي الماضي نُكْتَةُ أُخرى بديعة: وهو أن يتصوّرهم السّامعُ وهم قد خرّوا بالفعل في وضع السّجود، لا وهم ينزلون لِيَسْجُدُوا، وهو أبلغ وأجلّ في الهيئة.

هيئة السّجود
لله أشرف
مظاهر العبد

دلالة نظم السّجود والبكاء اسمَيْن:

عبّر القرآن بالاسم في كلِّ من السّجود والبكاء؛ إشارةً إلى أنّ خوفهم دائمٌ كما أنّ خضوعهم دائمٌ؛ لعظمة الكبير الجليل؛ لأنّ تلك الحضرة لا تغيبُ عنهم أصلًا، وإنّ حصل غيرُ البكاء فللتأنيس لمن أُرْسِلُوا إليه؛ ليوصلوه إلى قريبٍ من رُتبتهم؛ بحُسنِ عِشْرَتِهِمْ على تفاوتِ المراتب، وتبايُنِ المطالب⁽¹⁾، وقد تأسّس دواهم في هذَيْنِ

ما كانت الرّحمة
في شيءٍ إلَّا دام
وعلا

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 4/ 545.

المقامين الشَّريفيْن على إِبصارهم رَحمةَ الرَّحْمَنِ في الآيات التي تُتلى عليهم، وما دخل الرَّفق والرَّحمة في شيء إلَّا دام.

سِرُّ إِيثار صيغة ﴿سَجَدًا﴾:

السَّجُودُ هَيْئَةً
ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ

صيغة (فُعِلَ) في جمع (فاعل) تدلُّ على الحركة الظَّاهرة، وعلى تكثير القيام بالفعل، فلمَّا كان المرادُ هنا الدَّلالة على تصوُّرهم وهم ساجدون واضعون جباههم على الأرض، أراد الدَّلالة على هذه الحالة الظَّاهرة فَبَنَى الجمعَ على تلك الصَّيغة، لأجل هذه الدَّلالة⁽¹⁾، فإنَّ قيل: إنَّ السَّجودَ عبارة عن الهيئَةِ الظَّاهرة والحالة الباطنة مِنَ الخشوع، فيُقَال: اكتفى بالهيئَةِ الظَّاهرة، لدلالة لفظ ﴿وَبُكِّيًّا﴾ على خشوع القلب، ولذلك عطفه عليه.

سِرُّ إِيثار صيغة ﴿وَبُكِّيًّا﴾:

خَيْرُ الْبُكَاءِ مَا
يَكُونُ فِي حَالَةِ
السَّجُودِ

قوله: ﴿وَبُكِّيًّا﴾ جمعُ (باكٍ) وهو على زِنَةِ (فُعُول)، لأنَّ أصله (بُكُوِي) بواوٍ وياء، فأُعِلَّ بِالْقَلْبِ الإِعْلَالُ المشهورُ في مثله، وهو جمعٌ على وزن المصدر، كسُجود جمع ساجد، وقعود جمع قاعد، وجاء جمعه على وزن المصدر؛ للدَّلالة على المعنى الحقيقي للفعل، حتَّى يَصِلَ الْمُخَاطَبُ إلى تصوُّر بكائهم في حقيقته وأصلِ دافِعِهِ⁽²⁾.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

النَّسْلُ وَالذَّرِّيَّةُ:

لا يُقَالُ النَّسْلُ إلَّا
بَعْدَ الْإِنْفِصَالِ
الْوِلَادِيِّ

النَّسْلُ أصله: الانفصالُ عَنِ الشَّيْءِ، ويُطْلَقُ على الولد، لكونه ناسلاً عن أبيه وأُمِّه بالتَّوالد، فالفروعُ مِنَ الأَصْلِ الواحد هي نَسْلُهُ⁽³⁾. والذَّرِّيَّةُ ممَّا اخْتَلَفَ وَزْنُ أَصْلِهِ، فهي مِنَ الذَّرِّ، وهي الأجزاء الدَّقِيقَةُ الْمُتَنَاثِرَةُ مِنَ الشَّيْءِ، فَتَدُلُّ على لُطْفٍ وانتشار، أو مِن ذرٍّ

(1) فاضل السَّامِرَائِي، معاني الأبنية، ص: 133.

(2) فاضل السَّامِرَائِي، معاني الأبنية، ص: 139، والسَّمين، الذَّرُّ للصون: 906/7.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرَّاعِب، المفردات، وابن منظور، اللِّسان: (نسل).

بمعنى خَلَقَ بِكَثْرَةٍ، ولذا كانت الذَّرِّيَّةُ في أصل إطلاقها على الصَّغار مِنَ الأولاد، وإن كان قد يقع على الصَّغار والكبار معاً في التَّعارف⁽¹⁾، لأنها مِنَ الذَّرِّ الذي هو أدقُّ الأشياء وأصغرُها، أو لأنَّ الأشياء إذا انتشرت بدت صغيرةً، فانتشارُها مُشْعِرٌ بصِغَرِها، أو لأنها مخلوقةٌ، والخلقُ أوَّلُه الأطوارُ الصَّغيرةُ ثمَّ تكتَمِلُ شيئاً فشيئاً.

والفرق الدقيق بين النسل والذَّرِّيَّة: أنَّ الذَّرِّيَّةَ يَصِحُّ إطلاقُها على الفروع منذ أطوارها الأولى في التَّخليق، ولذا فالولد في صلب أبيه أو في رحم أمِّه جنيئاً هو ذرِّيَّةٌ إلى أنْ ينمو ويولد وَيَشَبُّ ويتنقَّل في أطوار الحياة فهو أيضاً كذلك، وأمَّا النسل فأخصُّ؛ لأنَّه لا يقال للولد إلا بعد الانفصال الولادي.

الحمل والإقْدال:

﴿حَمَلًا﴾ أعمُّ من (أَقْلَنًا)، وأقلُّ الشَّيء، أي: حمَلَه حمل القليل (مُسْتَقِلًا له)، وهو دالٌّ على قِلَّةِ المحمول بالنسبة لإِطاقةِ الحامل، وأمَّا الحمل فليس فيه معنى أنَّ المحمول قليل بالنسبة لحامله، بل هو عامٌّ في الدَّلالة على رَفَعِ الشَّيء بتكَلِّفٍ أو إقْدال⁽²⁾، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: 13]، فالحملُ هاهنا فوق الإِطاقة، وبتكَلِّفٍ وعُسْرٍ، وقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾ [الأعراف: 189] فالحمل هاهنا بإقْدالٍ وَيُسْرٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ فَإِنَّ حمل الذَّرِّيَّةِ فوق الفُلْكِ ليس فيه كُفَّةٌ ولا عُسْرٌ، فَإِنَّ السُّفْنَ مُهَيَّأةٌ لذلك، صالحةٌ له.

التَّلاوة والقراءة:

الفرق بين التَّلاوة والقراءة يتعيَّن من ثلاث حيثيَّات: **أَوَّلًا:** من حيثُ الموضوع: فالتَّلاوة قراءةٌ متتابعة، لا تكونُ إلا

الإقْدالُ مقيَّدٌ
بحمل القليل

اشْتِمَالُ التَّلاوةِ
على معنَى عمليٍّ
يُؤْذِنُ بأنَّ يعمل
القارئ بما يتلو

(1) الرَّاغِب، المفردات: (ذراً، ذرو).

(2) الرَّاغِب، المفردات: (حمل، قل)، والسَّمِين، عمدة الحُفَّاظ، وجبل، للعجم الاشتقاقِي: (حمل، قل).

لكلمتين فصاعداً، فهي قراءةٌ على نحوٍ مخصوص، لأنَّ أصل التلاوة: الاتِّباع، وإتباعُ الشيءِ الشيءَ، بخلافِ القراءةِ فتكون في الكلمة الواحدة، فتقول: (قرأ فلانُ اسمَه)، ولا يُقال: (تلا اسمَه)، إذا كانَ يقولُ لفظَ اسمِه فقط، وليس اسمَه بالكامل (اسم أبيه وجده ولقبه)؛ لأنَّ أصلَ القراءةِ جمعُ الشيءِ وضمُّ بعضه إلى بعض، وهذا حاصلٌ في الكلمة الواحدة بجمع حروفها بعضها إلى بعض، وحاصلٌ فيما فوق ذلك، فالقراءةُ أعمُّ.

ثانيًا: من حيث الأثر: فالتلاوة قد تشتملُ على جانبٍ عمليٍّ، وهو اتِّباعُ الشيءِ المتلَوِّ والعملِ به، فكأنَّ الذي يتلو القرآن - مثلاً - يتتبعُ في ترتيل ألفاظه، ويتَّبِعُ ذلك باتِّباع ما قرأه فهمًا وعملاً، بدليل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ (البقرة: 121)، أي: يتبعونه بالعلم والعمل، وأمَّا القراءةُ فهي مُجَرَّد التَّفَطُّ بالكلام، سواء اقترن ذلك بعلم وعمل، أو خلا منهما، بدليل قول النبي ﷺ في الخوارج: "يقرأون القرآن لا يجاوزُ تراقيهم"⁽¹⁾، ولم يقل: (يتلون القرآن)، وعليه: فالقراءةُ أعمُّ.

ثالثًا: من حيث المحل: فالتلاوة تُستعملُ للقراءة من مكتوبٍ، وتكون بصوتٍ، ويُتسامعُ فيها فتكون من غير مكتوبٍ لكن بصوتٍ، كتلاوة المحفوظ في الذهن، والقراءة تُستعملُ للقراءة من مكتوبٍ ومن غير مكتوبٍ، بصوتٍ وبغير صوتٍ (كمن يقرأ القرآن في نفسه)، فإذا عُدِّيَا (تلا، وقرأ) بـ (على) فهما بصوتٍ ولا بُدَّ⁽²⁾.

الخُرُورُ والسَّقُوطُ:

الخُرُورُ: هو سقوطٌ من علٍّ يصحبه صوتٌ، كصوتِ الماء حين يَجْرُ من الشلال، وصوتِ السَّقْف حين يتتابع سقوطُ أجزائه.

الخُرُورُ أخصُّ
والسَّقُوطُ أعمُّ

(1) متفقٌ عليه، أخرجه البخاريُّ في صحيحه، برقم: (3341)، ومسلم في صحيحه، برقم: (1358).

(2) العسكريُّ، الفروق اللغويَّة، ص: 63، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (تلو، قري)، والرَّاعِب،

لفردات، وجبل، العجم الاشتقاقِي: (تلو، قرأ)، والكفويُّ، الكلِّيات، ص: 308، 703.

وَأَمَّا السَّقُوطُ: فهو الوقوع أو الطرح، فوقوع الشيء من علو إلى دُنُوٍّ، كسقوط الإنسان من السطح، أو طرح الشيء بإلقائه أو إخراجِه من حيزه الذي يُمْسِكُهُ، لردائه وقلة الاعتداد به، كسقوط الحمل، لأنَّه مطروحٌ لا يُعْتَدُّ به لعدم تمامه، ولأنَّه وقع من حيزه الذي كان فيه، وهو بطن أمه، ويظهر الفرقُ بينهما من وجهين؛ الأول: السَّقُوطُ يكون في الأعيان والمعاني، والخُرُور في الأعيان، والثاني: السَّقُوطُ قد يصحبه صوتٌ وقد لا يصحبه، وأمَّا الخُرُور فمعه صوتٌ⁽¹⁾.

البكاء والنواح:

النَّواح: هو الصَّياح بعويل، أي: بالبُكا والنَّحيب، وأصله: التَّنَاوُح وهو التَّقابل، أي: أن يكون الشيء في مواجهة الشيء، وأُطلق على البُكاء بصوتٍ، أو الصَّياح بالأحزان والأوجاع؛ لأنَّ الإنسان في العادة لا يَحْزَنُ جَهْرَةً أو يَبْكِي جَهْرَةً إِلَّا خِطَابًا مع أَحَدٍ يَتَقَابَلُ معه، وأمَّا البُكاء: فهو سِيْلَانٌ دَمْعِ الْعَيْنِ لِرِقَّةٍ في القلب، مِنْ حُزْنٍ أو فَرَحٍ أو إِشْفَاقٍ، وقد يكون بصوتٍ أو مِنْ غَيْرِ صوتٍ، وعليه: فالنَّواح أَخْصَّ مِنْ البكاء، لتَقَيُّدِهِ بالتَّقابل والصَّوت⁽²⁾.

النَّواح هو
بكاءٌ على هيئة
مخصوصة

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرَّاغِب، المفردات: (خر، سقط)، والسَّمين، عمدة الحَفَاط، وجبل، المعجم الاشتقاقِي: (خر، سقط).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بكوء، نوح)، والرَّاغِب، المفردات، وابن منظور، اللِّسان، والسَّمين، عمدة الحَفَاط: (بكي، نوح)، وجبل، المعجم الاشتقاقِي: (بكي).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 31، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-73-0

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 31: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-73-0

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»